SEBHA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMAN SCIENCES VOL.20 NO. 1 2021
DOI: 10.51984/JOHS.V20I1.1516

جامعة سبها للعلوم الإنسانية مجلة
Sebha University Journal of Human Sciences

Journal homepage: https://sebhau.edu.ly/journal/index.php/johs

موقف ابن حزم من علماء الاشاعرة

*أبوعجيلة حسين عثمان جحا[1] و يحي عمار محمد الخمائسي [2]

[1]قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية ، جامعة الزيتونة ، ليبيا
[2]المعهد العالي للعلوم والتقنية نالوت، ليبيا

الملخص

تناولت هذه الدراسة موضوعاً مهماً يتحدث عن إمام وصاحب مذهب الإمام ابن حزم؛ حيث يعالج البحث الاشكالية التي تلف رأي ابن حزم في المسائل العقدية والآراء الهجومية علي إمام جليل كالباقلاني، ومدرسة عقدية بحجم الأشعرية وتهدف هذه الدراسة إلى ترجمة الامام ابن حزم، ومن ثم التعرف إلى موقف ابن حزم من المدرسة الأشعرية، وبيان تجني ابن حزم على هذه المدرسة العريقة التي تعد اللسان الناطق لعقيدة السنة والجماعة، وتبين الدراسةُ الوجه الصحيح والرأي الراجح عند مقارنة ابن حزم مع آراء الإمام الباقلاني بشكل خاص كون ابن حزم نقل عن الباقلاني نصوصاً ، وقد انتهجت هذه الدراسة المنهج التحليلي واعتمدت أيضاً على أسلوب المقارنة بين ما ذهب إليه ابن حزم وما هو مثبت في كتب الإمام الباقلاني، و والاختلاف بين ما نقل ابن حزم وما هو موجود في كتب الامام الباقلاني نفسه . وتوصلت الدراسة إلى أن كثيراً من المسائل التي تكلم عنها الأشاعرة لم يفهمها خصومهم وهو ما أدى في كثير من الأحيان إلى التشويش عليهم ورميهم بما هم منه براء.

الكلمات المفتاحية:

ابن حزم
المدرسة الأشعرية
الإمام الباقلاني
المسائل العقدية

Ibn Hazm's Position on Ash'ari Scholars

*Aboajila H. Jihy[1] , Yahia Ammar Mohammed Alkhamaisy[2]

[1]Department of Islamic Studies, College of Education, Al-Zaytoonah University, Libya
[2]Higher Institute of Science and Technology, Nalut, Libya

ABSTRACT

This study dealt with an important topic that talks about an Imam and the author of the doctrine of Imam Ibn Hazm. The research, in this research, deals with the problematic situation that surrounds the opinion of Ibn Hazm in the doctrinal issues and the offensive views against a famous Imam such as Kal-Baqlani, and a doctrinal school of the size of the Ash'ari school. This study aims at translating Imam Ibn Hazm, and then identify his position on the Ash'ari school. It also aims to explain his dereliction of this ancient school>. It is the speaking tongue of the doctrine of the Sunnah and the group. The study shows the correct face and the most precise opinion when comparing Ibn Hazm with the views of Imam Al-Baqlani. This study, in particular, discusses the fact that Ibn Hazm quoted texts from al-Baqlani, and the analytical method used, and relied on the method of comparison between what Ibn Hazm aimed to and what is proven in the books of Imam al-Baqlani, and also the difference between what Ibn Hazm transmitted and what is found in the books of Imam Al-Baqlani himself. The study concluded that many of the issues that the Ash'aris discussed were not understood by their opponents, which often led to confusion and accusing them inappropriately, as they were innocent.

Keywords:

Ibn Hazm
Ash'ari School
Imam al-Baqlani
Dogmatic issues

المقدمة

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله الذي بعثه الله في الأميين رسوًلا يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين.

أما بعد:

فقد أعطت البشرية كلها على اختلاف شعوبهم وقبائلهم الأهمية العظمى للعقيدة وعرف أهميتها للإنسان في ترويض عقله وهناء قلبه.

*Corresponding author:
E-mail addresses: abwhj71@gmail.com, (Y. A. M. Alkhamaisy) joyaj4313@gmail.com
Article History : Received 26 October 2020 - Received in revised form 30 November 2021 - Accepted 30 June 2021

اشكالية البحث وأسباب اختياره

تعالج هذه الدراسة موضوعاً مهماً يتحدث عن بيان مواقف لعلماء أثّروا في الأمة؛ ولهذا فإن كثيراً من المسلمين قديماً وحديثاً يتبعون قواعد الأشاعرة في تقرير العقيدة فهم في نظر كثير من العلماء حماة العقيدة والمنافحون عن الدين، وهم من وقفوا في وجه الفلاسفة، والمعتزلة، والروافض عندما عجز كثير من العلماء عن ذلك؛ فقد كانوا يملكون الأدوات التي أهّلتهم لذلك؛ فحاربوا الفلاسفة وغيرهم بسلاحهم وتبنّى كثير من الحكام مذهبهم، كالنظّام، وصلاح الدين الأيوبي وغيرهم، وقد كان لهم مؤيدون ومعارضون سواء في منهجهم أم على تقريرهم للعقيدة، وكان ممن عارضهم ابن حزم وبخاصة في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل)؛ فقد تحامل عليهم، وذكر لهم عقائد هم براء منها، ولم يتوقف الأمر على ذلك بل قد أتى بعض أصحاب المصالح، وأظهروا موقف ابن حزم من الأشاعرة على أنه موقف أهل السنة والجماعة، وهذا كما يبدو عين التجني، والبعد على المنهج؛ فمنهجياً لايزال الأشاعرة عبر العصور اللسان الناطق لعقيدة أهل السنة والجماعة، وهذا أهم سبب من أسباب اختيار البحث الذي سيسلط الضوء على آراء الأشاعرة، وتجلية ما نسب ابن حزم إليهم.

أهداف البحث:

وتهدف هذه الدراسة للوصول إلى الأهداف الآتية:

1) التعريف بشخصية ابن حزم، وطلبه للعلم، ومعرفة مشايخه وقول أهل العلم فيه.
2) الوصول إلى الأسباب التي جعلت ابن حزم يشن هذا الهجوم علي الأشاعرة وخصوصاً على إمام عظيم وكبير كالباقلاني رحمه الله .
3) التعريف بمواضع القوى والضعف للنقد لدى ابن حزم ومناقشتها مناقشة تحليلية مقارنة.

منهجية البحث:

يعتمد دراسة هذا البحث على المناهج التالية:

أولا: المنهج التحليلي : ويعتمد هذا المنهج علي تحليل الآراء وعرضها بطريقة علمية منهجية.

ثانياً: المنهج المقارن: وفيه يعتمد على مقارنة رأي الإمام ابن حزم مع علماء أهل السنة خصوصاً الإمام الباقلاني.

الدراسات السابقة:

1- كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل/ لابن حزم الأندلسي/دار صادر للطباعة والنشر1899م.
2- موقف ابن حزم من المذهب الأشعري من خلال الملل والنحل/ لعبدالرحمن دمشقية/ دار الصميعي –الرياض/ ط1 1418هـ
3- هل كان ابن حزم من أهل السنة/ مقال للشيخ محمد صالح المنجد/منشور بتاري 11-12-2010م. موقع الإسلام سؤال وجواب.

هيكلية البحث

الملخص

المقدمـــة

المبحث الأول: التعريف بابن حزم ومذهبه.

المبحث الثاني: رأي ابن حزم في الأشاعرة وسبب تجني ابن حزم عليهم.

المبحث الثالث: قولهم إن القرآن لم ينزل به جبريل، بل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم شيء آخر.

المبحث الرابع: قوله إن الباقلاني يقول إن ترتيب سور القرآن الكريم من عمل الناس.

المبحث الخامس: اتهام الأشاعرة بالقول بأن الأنبياء والرسل ليسوا اليوم أنبياءً.

المبحث السادس: اتهام الأشاعرة بالقول بجواز الفواحش والكفر على الأنبياء.

المبحث السابع: قولهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم ليس أفضل الناس في وقته.

المبحث الثامن: اتهام الأشاعرة بأنهم يقولون إن الله تعالى اسم واحد فحسب.

خاتمة وتوصيات

المبحث الأول: التعريف بابن حزم ومذهبه:

1- مولده: هو علي بن أحمد بن حزم أبو محمد القرطبي الأندلسي ولد في قرطبة من بلاد الأندلس (384هـ) وكان أبوه من الوزراء، ونشأ في بيت رياسة وغنى، وقد قرأ الموطأ في بداية طلبه للعلم، ثم تحول إلى المذهب الشافعي ثم انتقل إلى مذهب داوود الظاهري، وتعصب له، وانتصر له، وناظر أبا الوليد الباجي لما قدم الأخير من بغداد وانتصف منه أبو الوليد؛ فخفت نجم ابن حزم، ومقته العلماء والعامة على السواء، ثم استعدى علماء المالكية عليه الأمراء وأحرقت كتبه ونفي من بلده ومات في منفاه.

2- طلبه للعلم: لم يكن طلبه للعلم في سن الصغر، بل بعد أن جاوز الخامسة والعشرين[1] ، وتتلمذ على يد عدد من علماء الأندلس، منهم أبو عمرو بن الحسون، ويونس بن عبدالله القاضي، ويحي بن بيان، وعبدالله بن الربيع وغيرهم.

وقد تتلمذ على يديه ابنه أبو رافع الفضل، وأبو عبدالله الحميدي، وروى عنه إجازة شريح بن محمد بن سريج المقبري.

قال ابن حجر في لسان الميزان: "وقال مؤرخ الأندلس أبو مروان بن حبان: كان ابن حزم حامل فنون من حديث وفقه، ونسب، وأدب مع المشاركة في أنواع التعاليم القديمة، وكان لا يخلو في فنونه من غلط لجرأته في السؤال على كل فن، ومال أولاً إلى قول الشافعي وناضل عنه حتى نسب إلى الشذوذ، واستهدف لكثير من فقهاء عصره، ثم عدل إلى الظاهر فجادل عنه، ولم يكن يلطف في صدعه بما عنده بتعريض ولا تدريج بل يصك به معارضه صك الجندل، وينسفه في أنفه أنساف الخردل فتمالأ عليه فقهاء عصره، وأجمعوا على تضليله، وشنعوا عليه، وحذروا إكبارهم من قبيله، ونهوا عوامهم عن الاقتراب منه فطفقوا يعصونه، وهو مصرٌ على طريقته حتى كمل له من تصانيفه حمل بعير لم يتجاوز أكثرها عتبة بابه لزهد العلماء فيها حتى أحرق بعضها بإشبيلية، ومزقت علانية، ولم يكن مع ذلك سالماً من اضطراب رأيه "

المبحث الثاني: رأي ابن حزم في الأشاعرة:

أطلق ابن حزم لسانه في علماء الأمة، ولم يسلم منه سوى القليل من العلماء، وكانوا يقولون (لسان ابن حزم وسيف الحجاج أخوان توأمان)، وقد سلط لسانه على أبي الحسن الأشعري إمام أهل السنة والجماعة في عصره، وقدح في طريقته، وكفر كثيراً ممن أخذ طريقته كابن فورك والسمناني، والباقلاني،

ويقول ابن حزم في كتابه الفصل في الملل والأهواء، والنحل عن الباقلاني: "كافر أصلع الكفر! مشرك يقدح في النبوات! ملحد خبيث المذهب ملعون يلحد في أسماء الله، ويخالف القرآن ويكذب الله! نذل يوجب الشك في الله وفي صحة النبوة! مظلم الجهالة، من أهل الضلالة، ممرور فاسق أحمق، يكيد للإسلام ويستخف به! قد صدق فيه قول القائل: شهدت بأن ابن المعلم هازل بأصحابه والباقلاني أهزل

وما الجعل الملعون في ذاك دونه* وكلهم في الإفك والكفر منزل"[2]

ويقول عن الأشاعرة:" والحمد لله الذي لم يجعلنا من أهل هذه الصفة المرذولة، ولا من هـذه العصابة المخذولة ويحمد الله على ضعفهم في عصره، ثم يتحدث عن الأشاعرة بقوله:" وأما الأشاعرة فكانوا ببغداد والبصرة، ثم قامت لهم سوق بصقلية والقيروان، والأندلس، ثم رق أمرهم، والحمد لله رب العالمين! وهو ينسب إليهم أقوالاً لم يقولوها، ومذاهب لم يذهبوا إليها، ثم يندفع في تكفيرهم ويكيل الشتائم لهم، كما صنع في باب الرد على من زعم أن الأنبياء والرسل ليسوا اليوم أنبياء ولا رسلاً؛ حيث يقول:" حديث فرقة مبتدعة، تزعم أن محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ليس هو الآن رسول الله، ولكنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا قول ذهب إليه الأشعرية وهذه مقالة خبيثة، مخالفة لله تعالى ولرسوله، ولما أجمع عليه جميع أهل الإسلام منذ كان الإسلام إلى يوم القيامة، ونعوذ بالله من هذا القول، فإنه كفر صراح لا ترداد فيه"[3].

سبب تجني ابن حزم على الأشاعرة:

إن من يقرأ كتاب الفصل لابن حزم يعجب من كثرة اطلاق ابن حزم لسانه على الأشاعرة وعلمائهم، وقد كان للباقلاني نصيب الأسد من هذا القدح والذم، ولا نعرف تحديداً السبب المباشر الذي جعل ابن حزم يجازف بمصداقيته كعالم من علماء السلف، وينقل كثيراً من النقول الكاذبة عن الأشاعرة، وينسب إليهم كلاماً لا يقول به عاقل، ويعرف كل منصف أنه مفترى عليهم، وقد سطروا خلافه في كتبهم، وقد علم ابن حزم أن كتب أئمة الأشاعرة منتشرة في العالم الإسلامي، وسيتضح ولو بعد مدة عدم صحة ما سوده عنهم في كتابه، وربما ينبع هذا الحقد من انتقاد الأشاعرة لإمام ابن حزم في الفقه داود الظاهري يقول ابن حزم:" ومن العجب أن هذا النذل الباقلاني قطع بأن داود خالف الإجماع في قوله بإبطال القياس، أفلا يستحي هذا الجاهل من أن يصف العلماء بصفته، مع عظيم جهله؟ ولكن من يضلل الله فلا هادي له "[4].

وكان الباقلاني رحمه الله لا يعد الظاهرية مذهباً معتبراً من مذاهب أهل السنة والجماعة؛ فلا يعد خلافهم شيء عنده، وقد نقل الشيخ حسن العطار، (ت سنة هـ1250)" أن أبا إسحاق الأسفراني قال:" كل مسلك يختص به أصحاب الظاهر عن القياسيين، فالحكم بحسبه منقوض، وبحق قال حبر الأصول القاضي أبوبكر: إني لا أعدهم من علماء الأمة، ولا أبالي بخلافهم ولا وفاقهم،"[5].

موقف العلماء من الأشاعرة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

" وكذلك أبو محمد بن حزم مع معرفته بالحديث وانتصاره لطريقة داود وأمثاله من نفاة القياس أصحاب الظاهر قد بالغ في نفي الصفات وردها إلى العلم مع أنه لا يثبت علماً هو صفة، ويزعم أن أسماء الله كالعليم والقدير ونحوهما لا تدل على العلم والقدرة، وينسب إلى الإمام أحمد وأمثاله من أئمة السنة، ويدعي أن قوله هو قول أهل السنة والحديث، ويذم الأشعري وأصحابه ذماً عظيماً ويدعي أنهم خرجوا عن مذهب السنة والحديث في الصفات، ومن المعلوم الذي لا يمكن مدافعته أن مذهب الأشعري وأصحابه في مسائل الصفات أقرب إلى مذهب أهل السنة والحديث من مذهب ابن حزم وأمثاله في ذلك"[6].

ويقول الإمام التاج السبكي:" وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية، وفضلاء الحنابلة، ولله الحمد في العقائد واحدة كلهم على رأي أهل السنة والجماعة، يدينون الله تعالى بطريق شيخ السنة والجماعة أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى، لا يحيد عنها إلا رعاع من الحنفية والشافعية لحقوا بأهل الاعتزال، ورعاع من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم وبرأ الله المالكية فلم نرى مالكياً إلا أشعري عقيدة وبالجملة عقيدة الأشعرية هي ما تضمنته عقيدة أبي جعفر الطحاوي التي تلقاها علماء المذاهب بالقبول ورضوها عقيدة"[7].

المبحث الثالث: قولهم إن القرآن لم ينزل به جبريل بل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم شيء آخر:

يقول ابن حزم:" وقالوا كلهم: إن القرآن لم ينزل به قط جبريل على قلب محمد، عليه الصلاة والسلام، وإنما نزل عليه بشيء آخر وهو عبارة عن كلام الله، وإن القرآن ليس عندنا البتة إلا على هذا المجاز، وإن الذي نرى في المصاحف ونسمع من القراء، ونقرأ في الصلاة، ونحفظ في الصدور- ليس هو القرآن البتة، ولا شيء منه كلام الله البتة، بل شيء آخر، وإن كلام الله لا يفارق ذاته. وإن قول هذه الفرقة في هذه المسألة نهاية الكفر بالله عز وجل، ومخالفة القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم، ومخالفة جميع أهل الإسلام قبل حدوث هذه الطائفة الملعونة... وقال السمناني أيضاً: إن الباقلاني وشيوخه قالوا: إن النبي- صلى الله عليه وسلم – إنما أطلق القول بأن ما أنزل الله هو القرآن وهو كلام الله تعالى إنما هو على معنى أنه عبارة عن كلام الله تعالى، وأنه يفهم منه أمره ونهيه فقط.

إلى أن قال: ولقد أخبرني على بن حمزة المراوي الصقلي الصوفي: أنه رأى بعض الأشعرية يبطح المصحف برجله قال: فأكبرت ذلك، وقلت له: ويحك هكذا تصنع بالمصحف ؟ وفيه كلام الله تعالى، فقال لي: ويلك، والله ما فيه إلا السخام والسواد، وأما كلام الله فلا، ونحو هذا من القول الذي هذا معناه. وكتب إلي أبي المرجى بن رزوار المصري: أن بعض ثقاة أهل مصر أخبره من طلاب السنن: أن رجلاً من الأشعرية قال له مشافهة: على من يقول أن الله قال (قل هو أحد الله الصمد) ألف لعنة قال أبو محمد: بل على من يقول: إن الله عز وجل لم يقلها ألف ألف لعنة تترى، وعلى من ينكر أننا نسمع كلام الله، ونقرأ كلام الله، ونحفظ كلام الله، ونكتب كلام الله ألف ألف لعنة تترى من الله عز وجل. فإن قول هذه الفرقة في هذه المسألة نهاية الكفر بالله عز وجل، ومخالفة للقرآن والنبي – صلى الله عليه وسلم-، ومخالفة جميع أهل الإسلام قبل حدوث هذه الطائفة الملعونة"[8].

وتابع ابن حزم تكفير المسلمين بناء على كلام غير صحيح والذي ادعى فيه زوراً أنه قول(الأشاعرة كلهم) ولو أنه أتعب نفسه في قراءة ما كتبه العلماء في هذه المسألة لما خاض هذا الخوض في تكفير المسلمين بغير حق، وكأنه لم يعلم أن من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما، ولم يعلم أن المسلم ليس بلعان ولا طعان، وقد بني ابن حزم تكفيره لعموم المسلمين ممن يتبع طريقة أبي الحسن الأشعري على مسألة افتراها عليهم خصومهم، وليست الآفة بابن حزم؛ فقد نلتمس له العذر بالجهل، وأنه لم يطلع على كتب الأشاعرة وبينه وبينهم مفاوز، ولكن الطامة الكبرى أن يأتي علماء معاصرين وينقلوا كلام ابن حزم على أنه

الحق الذي لا مرية فيه، ويقرروا على أساسه كفر الأشاعرة[9].

وكيف نلتمس لهؤلاء العذر بعد أن طبعت كتب علماء الأمة، وأصبح من السهل معرفة صحة النقل من عدمه بضغطة زر على الحاسب .

وقد بيّن الأشاعرة حقيقة قولهم في القرآن الكريم على لسان الإمام الباقلاني :" اعلم أن الله تعالى متكلم له كلام عند أهل السنة والجماعة، وأن كلامه قديم ليس بمخلوق ولا مجعول، ولا محدث، بل كلامه قديم، صفة من صفات ذاته، كعلمه وقدرته وإرادته، ونحو ذلك من صفات الذات.

ولا يجوز أن يقال: كلام الله عبارة ولا حكاية، ولا يوصف بشيء من صفات الخلق، ولا يجوز أن يقول أحد: لفظي بالقرآن مخلوق ولا غير مخلوق، ولا إني أتكلم بكلام الله"[10].

فقد ذكر الباقلاني بما لا يدع مجالاً للشك أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، ولا مجعول، ولا محدث، ويؤكد أن كلام الله لا يقال أنه عبارة أو حكاية أي بالمعنى، وزاد البيان في المسألة، وقرر أنه لا يقال لفظي بالقرآن مخلوق، ولا إني أتكلم بكلام الله.

ويقول أيضاً" ويجب أن يعلم أن كلام الله تعالى مكتوب في المصاحف على الحقيقة كما قال: (إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون)سورة الواقعة آية ( ) ، وهو في مصاحفنا مكتوب على الوجه الذي هو مكتوب في اللوح المحفوظ كما قال تعالى(بل هو قرآن مجيد في لوحٍ محفوظ) سورة البروج آخر السورة، لكن نحن نعلم وكل عاقل أن كلام الله الذي هو مكتوب في اللوح المحفوظ، هو القرآن المكتوب في مصاحفنا شيء واحد، لا يختلف ولا يتغير، وأن اللوح غير أوراق مصاحفنا، وأن الخط الذي فيه غير الخطوط التي في مصاحفنا، وأن القلم الذي كتب إذ هو صفة لله تعالى، قديم غير مخلوق .وكذلك نقول: إنه مقروء بألسنتنا نتلوا بها على الحقيقة، لكن نعلم أن زيداً القارئ غير عمرو القارئ، وأن لسان زيد غير لسان عمرو، وأن قراءة زيد غير قراءة عمرو، ولكن المقروء لزيد هو المقروء لعمرو شيء واحد لا يختلف ولا يتغير، بل هو كلام الله القديم الذي ليس بمخلوق، ولا يجوز عليه صفات الخلق في اللوح المحفوظ غير أقلامنا، وكذلك ما اختلف وغاير غيره واختص بمكان دون مكان، وزمان دون زمان؛ فهو مخلوق مربوب، وكل ما هو على صفة واحدة لا يختلف ولا يتغير، ولا يجوز عليه شيء من صفات الخلق؛ فكذلك هو كلام الله تعالى القديم وجميع صفات ذاته. وكذلك القرآن محفوظ بالقلوب على الحقيقة، كما قال تعالى:(بل هو آيات بينات في صدور الذين أتوا العلم) لكن نعلم قطعاً أن زيداً الحافظ غير عمرو الحافظ، وأن قلب هذا غير قلب هذا، وأن حفظ هذا غير حفظ هذا، لكن المحفوظ لهذا بحفظه هو المحفوظ للآخر بحفظه، وهو شيء واحد لا يختلف ولا يتغير، وهذا كما قال تعالى:(انما أنزل بعلم الله) يعلمه زيد بعلمه، ويعلمه عمرو بعلمه، ويعبده زيد بعبادته، ويعبده عمرو بعبادته، ويدعوه زيد بدعائه ويدعوه عمرو بدعائه، ويذكره زيد بذكره، ويذكره عمرو بذكره ويسبحه زيد بتسبيحه، ويسبحه عمرو بتسبيحه، فزيد غير عمرو، وذكره غير ذكر عمرو، وعبادته غير عبادة عمرو، ولكن المعبود لهذا هو المعبود لهذا، والمذكور لهذا هو المذكور لهذا، والمسبح لهذا هو المسبح لهذا، والله تعالى هو القديم الواحد الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"[11]، وبعد كل هذا البيان والتوضيح يتهم ابن حزم (الأشاعرة كلهم) بهذا الكلام المفترى؛ فلو كان لديه مسحة من إنصاف لما قال بالتعميم الذي لا يسلم لعاقل.

المبحث الرابع: قوله إن الباقلاني يقول أن ترتيب سور القرآن الكريم من فعل الناس:

قال ابن حزم "ومن شنعهم قول هذا الباقلاني في كتابه المعروف بالانتصار في القرآن، إن تقسيم آيات القرآن وترتيب مواضع سوره، شيء فعله الناس، وليس هو من عند الله، ولا من أمر رسول الله، صلى الله عليه وسلم. فقد كذب هذا الجاهل وأفك، أتراه ما سمع قول الله تعالى:(ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) سورة البقرة.

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، في آية الكرسي: وآية الكلالة، والخبر: أنه عليه السلام كان يأمر إذا نزلت آية كذا، أن تجعل في سورة كذا، وموضع كذا، ولو أن الناس رتبوا سوره، لما تعدوا أحد وجوه ثلاثة، إما أن يرتبوها على الأول فالأول نزولاً، أو الأطول فما دونه ، أو الأقصر فما فوقه. فإذا ليس ذلك كذلك ، فقد صح أنه أمر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الذي لا يعارض عن الله عز وجل، لا يجوز غير ذلك أصلاً"[12].

إن هذه الشبهة التي أوردها ابن حزم هي دليل على أنه ينتقد الأشاعرة لمجرد النقد، ولا يوفر مدخلاً لنقدهم والقدح بهم إلا فعله؛ فمسألة ترتيب سور القرآن الكريم هي من المسائل الخلافية قديماً وحديثاً، وخلاف السلف فيها معروف وأمره مشتهر، ولم يكذب بعضهم بعضاً في ذلك يقول السيوطي في الاتقان:" وأما ترتيب السور فهل هو توقيفي أيضاً، أو باجتهاد من الصحابة؟ خلاف: فجمهور العلماء على الثاني منهم مالك، والقاضي أبوبكر في أحد قوليه"[13]. وقال البيهقي في المدخل: كان القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم مرتباً سوره وآياته على هذا الترتيب إلا الأنفال وبراءة ...ومال ابن عطية إلى أن كثيراً من السور قد علم ترتيبها في حياته صلى الله عليه وسلم، وأن ما سوى ذلك يمكن أن يكون قد فوض الأمر فيه إلى الأمة بعده، ومال السيوطي لقول البيهقي السابق[14].

وقد اختلف الصحابة رضي الله عنهم في ترتيب سور القرآن قبل أن يجمعهم عثمان رضي الله عنه على الترتيب المعروف، ومنهم من جعل في أوله (اقرأ باسم ربك الذي خلق) وهذا أول مصحف علي رضي الله عنه فيما رواه عنه الزبير بن عبدالله بن الزبير عن زياد الأخرم قال: مررت على محمد بن عمر بن علي فقال: ألا أريك يا زياد مصحف علي؟ قال فأراه فإذا أوله (اقرأ باسم ربك الذي خلق)، وكان مصحف ابن مسعود على خلاف ترتيب مصحف علي فقد قرأ علقمة على عبدالله، وأن تأليف مصحفه كان (مالك يوم الدين)، ثم سورة البقرة، ثم سورة النساء، وأما مصحف أُبي فقد روى بعض ولد أنس أن مصحف أبي كان عنده ، وأن أوله الحمد والبقرة، والنساء ثم آل عمران، ثم الأنعام، ثم الأعراف، ثم المائدة ،ثم كذلك على اختلافٍ شديدٍ في ترتيب السور[15].

فالمسألة خلافية بين العلماء، لكن تعصب ابن حزم وتحامله جعله يستشنع هذا القول من الباقلاني رغم أن من قال بهذا القول هو الإمام مالك وغيره من الأئمة، وابن حزم أعلم بمذهب مالك، ولم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين أنهم كفروا بعضهم ورموا بعضهم بالكذب لمخالفة بعضهم لبعض في الترتيب، وقد اطلع كل منهم على نسخة غيره التي خطها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأوا الخلاف في الترتيب، ولم يشنعوا على بعض في تلك المسألة لعلمهم أن الاجتهاد فيها سائغ وليس فيها ما يحل حراماً، أو يحرم حلالاً. ومن يطلع على رأي الباقلاني يجد أنه قد أورد كلا الرأيين مع ترجيح الثاني؛ فقد قال في "الانتصار لنقل القرآن":" ترتيب الآيات أمر واجب، وحكم لازم، فقد كان جبريل يقول: ضعوا آية كذا موضع كذا".

وقوله أيضاً:" والذي نذهب اليه في ذلك أن جمع القرآن الذي أنزله الله، وأمر بإثبات رسمه، ولم ينسخه، ويرفع تلاوته بعد نزوله- هو هذا الذي بين الدفتين،

الذي حواه مصحف عثمان، وأنه لم ينقص منه شيء، ولا زيد فيه وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمه الله تعالى، ورتبه عليه رسوله، من آي السور، لم يقدم من ذلك مؤخراً، ولا أخر منه مقدماً، وأن الأمة ضبطت عن النبي صلى الله عليه وسلم، ترتيب آي كل سورة ومواضعها، وعرفت مواقعها كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة وأنه يمكن أن يكون الرسول صلي الله عليه وسلم قد رتب علي ما انطوي عليه مصحف عثمان رضي الله عنه ويمكن أن يكون قد وكل ذلك إلى الأمة بعده، ولم يتول ذلك بنفسه، وأن هذا القول الثاني أقرب وأشبه أن يكون حقاً"[16].

قارن أخي القارئ بين كلام الباقلاني، وبين نقل ابن حزم عنه بقوله:" إن ترتيب الآيات والسور شيء فعله الناس وليس هو من عند الله، ولا من أمر رسول الله" والله المستعان .

المبحث الخامس: اتهام الأشاعرة أن الأنبياء والرسل ليسوا اليوم أنبياء.

يقول ابن حزم في الفصل : "حديث فرقة مبتدعة، تزعم أن محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وسلم، ليس هو الآن رسول الله، ولكنه كان رسول الله، وهذا قول ذهب إليه الأشعرية وهذه مقالة خبيثة، مخالفة لشرع الله، ولما أجمع عليه جميع أهل الاسلام مند كان الإسلام إلى يوم القيامة، ونعوذ بالله من هذا القول، فإنه كفر بواح لا ترداد فيه"[17]، ثم قال:" وعلى هذه المسألة قتل الأمير محمود بن سبكتكين مولى أمير المؤمنين وصاحب خراسان رحمه الله ابن فورك شيخ الأشعرية فأحسن الله جزاء محمودٍ على ذلك، ولعن ابن فورك وأشياعه وأتباعه"[18].

هذا ما ذكره ابن حزم وقد كفر على عادته الأشاعرة؛ لأنهم بزعمه يقولون بهذا القول مع أن كتب الأشاعرة تذخر بخلاف هذا الكلام، ومن ذلك قول الباقلاني: " يجب أن يعلم أن نبوات الأنبياء، صلوات الله عليهم، لا تبطل، ولا تنخرم بخروجهم عن الدنيا، وانتقالهم إلى دار الآخرة، بل حكمهم في حال خروجهم من الدنيا كحكمهم في حالة نومهم، وحالة اشتغالهم، إما بأكل أو شرب، أو قضاء وطر، والدليل عليه: أن حقيقة النبوة لو كانت ثابتة لهم في حالة اشتغالهم بأداء الرسالة، دون غيرها من الحالات – لكانوا في غيرها من الأحوال غير موصوفين بذلك.

وقد غلط من نسب إلى المحققين من الموحدين – إبطال نبوة الأنبياء عليهم السلام بخروجهم من دار الدنيا وليس ذلك بصحيح؛ لأن مذهب المحققين أن الرسول ما استحق شرف الرسالة بتأدية الرسالة، وإنما صار رسولاً واستحق شرف الرسالة والنبوة، بقول مرسله – وهو الله تعالى -: أنت رسولي ونبي، وقول الله تعالى قديم لا يزول ولا يتغير .

والدليل على صحة هذا أيضاً: أنه صلى الله عليه وسلم سئل فقيل له: متى كنت نبياً ؟ فقال :" كنت نبياً وآدم بين الماء والطين" فحاصل الجواب في هذا : أن شرف النبوة، وكمال المنصب ثابت للأنبياء، صلوات الله عليهم أجمعين الآن حسب ما كان ثابتاً لهم في حال الحياة، لم ينثلم ولم ينتقض، سواء نسخت شرائعهم أو لم تنسخ. ومن راجع نفسه، ولم يغالط حسه، عرف وتحقق أن النبي صلى الله عليه وسلم الآن لم يخاطب شفاها، ولا يأمرهم ولا يكلمهم من غير واسطة، لكن حكم شريعته وصحة نبوته ثابت لم ينتقض لأجل خروجه من الدنيا، ولم تزل مرتبته، ولا انخرمت رسالته، ولا بطلت معجزته"[19].

أما ما ذكره ابن حزم عن ابن فورك فهو غير صحيح كما حققه العلماء، وقد نسب هذا القول للإمام الأشعري زوراً وبهتاناً، وبيّن أبو القاسم القشيري (376- 475) فساد هذا الرأي، ومخالفته لقول الأشاعرة، والإمام الأشعري بقوله: " فأما ما حكى عنه وعن أصحابه أنهم يقولون: إن محمداً صلى الله عليه وسلم، ليس بنبي في قبره، ولا رسول بعد موته، فهتان عظيم، وكذب محض، لم ينطق به أحد منهم، ولا سمع في مجلس مناظرة ذلك عنهم، ولا وجد ذلك في كتاب لهم"[20].

وكذا شنع السبكي على من روج هذه الرواية عن ابن فورك قال:" والمسألة المشار إليها وهي انقطاع الرسالة بعد الموت مكذوبة قديماً على الإمام أبي الحسن الأشعري نفسه، وقد مضى الكلام عليها في ترجمته إذا عرفت هذا فاعلم أن أبا محمد بن حزم الظاهري ذكر في النصائح أن ابن سبكتكين قتل ابن فورك بقوله لهذه المسألة، ثم زعم ابن حزم أنها قول جميع الأشعرية قلت: وابن حزم لا يدري مذهب الأشعري، ولا يفرق بينهم وبين الجهمية لجهلهم بما يعتقدون... وقد حكى ابن الصلاح ما ذكره ابن حزم ثم قال ليس الأمر كما زعم بل هو تشنيع على الأشعرية أثارته الكرامية فيما حكاه القشيري .... وقال قبل ذلك أعني شيخنا الذهبي كان ابن فورك رجلاً صالحاً ... قلت: أما السلطان أمر بقتله فشفع إليه إلى آخر الحكاية فأكذوبة سمجة ظاهرة الكذب من جهات متعددة منها أن ابن فورك لا يعتقد ما نقل عنه بل يكفر قائله فكيف يعترف على نفسه بما هو كفر، وإذا لم يعترف فكيف يأمر السلطان بقتله، وهذا أبو القاسم القشيري أخص الناس بابن فورك؛ فهل نقل هذه الواقعة بل ذكر أن من عزى إلى الأشعرية هذه المسألة فقد افترى عليهم، وأنه لا يقول بها أحد منهم"[21].

والأشاعرة الذين نقلنا عنهم تكذيبهم لهذا القول هم أعلم بمذهب إمامهم من ابن حزم .

المبحث السادس: اتهام الأشاعرة بالقول بجواز الفواحش والكفر على الأنبياء:

قال أبو محمد بن حزم: اختلف الناس في هل تعصي الأنبياء عليهم السلام أم لا ؟ فذهبت طائفة إلى أن رسل الله صلى الله عليهم وسلم يعصون الله في جميع الكبائر والصغائر عمداً حاشى الكذب في التبليغ فقط، وهذا قول الكرامية من المرجئة، وقول ابن الطيب الباقلاني من الأشعرية، ومن اتبعه وهو قول اليهود والنصارى، وسمعت من يحكى عن بعض الكرامية أنهم يجوزون على الرسل عليهم السلام الكذب في التبليغ أيضاً، وأما هذا الباقلاني فإنا رأينا في كتاب صاحبه أبي جعفر السمناني قاضي الموصل"[22].

أنه كان يقول أن كل ذنب دق أوجل فإنه جائز على الرسل حاشا الكذب في التبليغ فقط قال وجائز عليهم أن يكفروا"[23].

قبل الجواب عن هذا الأمر لا بد من عرض مذهب أهل السنة في هذه المسألة.

قال ابن عبد البر(ت :463هـ):" معلومٌ أنه – عليه الصلاة والسلام – لم يكفّر عنه إلا الصغائر؛ لأنه لا يأتي كبيرةً أبداً لا هو ولا أحدٌ من الأنبياء؛ لأنهم معصومون من الكبائر صلوات الله عليهم "[24].

قال القاضي عياض (ت : 544هـ) :" وأما الصغائر فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الأنبياء وهو مذهب أبي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء، والمحدثين والمتكلمين"[25].

وقال النووي (ت : 676هـ): " واختلفوا في وقوع غيرها من الصغائر منهم؛ فذهب معظم الفقهاء والمحدثين والمتكلمين من السلف والخلف إلى جواز وقوعها منهم"[26].

قال الآمدي (ت: 631هـ): " اتفقت الأمة سوى الحشوية، ومن جوز الكفر على الأنبياء على عصمتهم عن تعمده من غير نسيان، ولا تأويل وإن اختلفوا في

أن مدرك العصمة السمع كما ذهب إليه القاضي أبو بكر والمحققون من أصحابنا أو العقل كما ذهب إليه المعتزلة وأما إن كان فعل الكبيرة عن نسيان أو تأويل خطأ؛ فقد اتفق الكل على جوازه سوى الرافضة، أما ما ليس بكبيرة فإما أن يكون من قبيل ما يوجب الحكم على فاعله بالخسة، ودناءة الهمة، وسقوط المروءة كسرقة خبة أو كسرة؛ فالحكم فيه كالحكم في الكبيرة، وإما ما لا يكون من هذا القبيل كنظرة أو كلمة سفه نادرة في حالة غضب فقد اتفق أكثر أصحابنا، وأكثر المعتزلة على جوازه عمداً وسهواً خلافاً للشيعة مطلقاً وخلافاً للجبائي، والنظام وجعفر بن مبشر في العمد"[27].

قال الجويني:" فأما الفواحش والموبقات، والأفعال المعدودة من الكبائر؛ فالذي ذهب إليه طبقات الخلق استحالة وقوعها عقلاً من الأنبياء، وإليه مصير جماهير أئمتنا ، وأما الصغائر ففي إثباتها أولا كلام كثير لسنا له الآن، ولكن الذي نعنيه بذكر الصغائر ما لا يتضمن فسق من صدر منه وانسلاله عن نعت."[28]

وقال ابن تيمية (ت: 728هـ): " القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف حتى إنه قول أكثر أهل الكلام كما ذكر (أبو الحسن الآمدي) أن هذا قول أكثر الأشعرية، وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء بل هو لم ينقل عن السلف، والأئمة، والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول ولم ينقل عنهم ما يوافق القول، وإنما نقل ذلك القول في العصر المتقدم عن الرافضة، ثم عن بعض المعتزلة، ثم وافقهم عليه طائفة من المتأخرين، وعامة ما ينقل عن جمهور العلماء أنهم غير معصومين عن الإقرار على الصغائر، ولا يقرون عليها ولا يقولون إنها لا تقع بحال وأول من نقل عنهم من طوائف الأمة القول بالعصمة مطلقاً وأعظمهم قولاً لذلك: الرافضة فإنهم يقولون بالعصمة حتى ما يقع على سبيل النسيان والسهو والتأويل. وينقلون ذلك إلى من يعتقدون إمامته وقالوا بعصمة علي، والاثني عشر، ثم الإسماعيلية الذين كانوا ملوك القاهرة، وكانوا يزعمون أنهم خلفاء علويون فاطميون، وهم عند أهل العلم من ذرية عبيد الله القداح كانوا هم وأتباعهم يقولون بمثل هذه العصمة لأئمتهم ونحوهم مع كونهم كما قال فيهم أبو حامد الغزالي في كتابه الذي صنفه في الرد عليهم – قال: ظاهر مذهبهم الرفض، وباطنه الكفر المحض، وقد صنف " القاضي أبو يعلى" وصف مذاهبهم في كتبه وكذلك غير هؤلاء من علماء المسلمين؛ فهؤلاء، وأمثالهم من الغلاة القائلين بالعصمة، وقد يكفّرون من ينكر القول بها وهؤلاء الغالية هم كفار باتفاق المسلمين"[29].

وقال الذهبي (ت :748هـ): " وقد يقع منهم الذنب ولا يقرون عليه، ولا يقرون على خطأ، ولا فسق أصلاً فهم منزهون عن كل ما يقدح في نبوتهم وعامة الجمهور الذين يجوزون عليهم الصغائر يقولون إنهم معصومون من الإقرار عليها"[30].

ورجح بعضهم عصمتهم من الصغائر أيضاً كابن حجر (ت :852هـ) : " والأنبياء وإن عصموا من الكبائر فلم يعصموا من الصغائر كذا قال، وهو مفرعٌ على خلاف المختار والراجح عصمتهم من الصغائر أيضاً"[31].

وهو قول ابن عطية [32](وهو أشعري) والبدر العيني [33] .

وقال القوشجي : " والمذهب عند محققي الأشاعرة منع الكبائر، والصغائر الخسيسة بعد البعثة مطلقاً، والصغائر غير الخسيسة عمداً لا سهواً ، وذهب إمام الحرمين من الأشاعرة، وأبو هاشم من المعتزلة إلى تجويز الصغائر عمداً"[34].

وقد نقل العلماء عن الباقلاني أنه يقول بعصمة الأنبياء من الصغائر وما ذكره الشوكاني بقوله: " ذهب الأكثر من أهل العلم إلى عصمة الأنبياء بعد النبوة من الكبائر وقد حكى القاضي أبو بكر إجماع المسلمين على ذلك"[35].

بل وذكر الملّا علي القاري أن الباقلاني يقول بعصمة الأنبياء من الصغائر والكبائر: " قال تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)"النساء 49.وفي نسخة في العفو عنها؛ أي عن الصغائر والكبائر لا عن الصغائر كما هو المتبادر (وهو) أي ما ذهبوا إليه من عصمة الأنبياء من الكبائر والصغائر (قول القاضي أبي بكر)؛ أي الباقلاني من المالكية رحمه الله تعالى(وجماعة أئمة الأشعرية) من باب عطف العام على الخاص "[36] .

وعن تجويز السمناني للكفر على الأنبياء فكل من ذكر ذلك عنه نقله عن ابن حزم، وحال ابن حزم في التثبت في النقل معروف، وقد علق الذهبي بعبارة توحي بعدم رضاه عن كلام ابن حزم في السمناني بقوله:: "وقد ذكره ابن حزم فقال ، أبو جعفر السمنان المكفوف قاضي الموصل هو أكبر أصحاب الباقلاني ومقدم الأشعرية في وقتنا قال: من سمى الله جسماً من أجل أنه حامل لصفاته في ذاته فقد أصاب المعنى وأخطأ في النسبة فقط، ثم أخذ ابن حزم يشنع على السمناني ويسبه لهذه المقالة المبتدعة ولنحوها؛ فنعوذ بالله من البدع؛ فليت ابن حزم سكت رأساً برأسٍ ؛ فله أوابد في الأصول والفروع[37]".

ولو كان السمناني قال مقولته الشنيعة هذه لما تغاضى عنها الخطيب البغدادي، وهو قد أخذ عنه ووصفه بصفات حميدة فقال: " كتبت عنه وكان صدوقاً فاضلاً حنفياً يعتقد مذهب الأشعري ، وله تصانيف "[38]. فأنى لابن حزم أن يطلع على ما لم يطلع عليه تلميذ السمناني وبما كان سبب العداء من ابن حزم للسمناني هو أن أحد أنجب تلامذته هو أبو الوليد الباجي كما ذكر ابن كثير والجميع يعلم ما بين الباجي وابن حزم من المنافرة .

المبحث السابع: قولهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم ليس أفضل الناس في وقته :

يقول ابن حزم: " ومن طوامهم ما حكاه السمناني عن الباقلاني أنه قال واختلفوا في وجوب كون النبي صلى الله عليه وسلم أفضل أهل وقته في حالة الرسالة وما بعدها إلى حين موته؛ فأوجب ذلك قائلون وأسقطه آخرون، وقال الباقلاني، وهذا هو الصحيح وبه نقول قال أبو محمد: وهذا والله الكفر الذي لا خفاء به؛ إذ جوز أن يكون أحد ممن في عصر النبي صلى الله عليه وسلم فما بعده أفضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما أنكرنا على أحمد بن خابط إلا دون هذا؛ إذ قال أن أبا ذر كان أزهد من النبي صلى الله عليه وسلم هذا مع قول هذا . المستخف الباقلاني الذي ذكره عند السمناني في كتابه الكبير في كتاب الإمامة[39]. منه إن من شرط الإمامة أن يكون الإمام أفضل أهل زمانه قال أبو محمد: يا للعيارة بالدين يجوز عند أهل الكافر أن يكون في الناس غير الرسل أفضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يجوز عنده أن يلي الإمامة أحد يوجد في الناس"[40].

وقد كفر ابن حزم كعادته الباقلاني على دعوى لم تثبت عليه، وقد ذكر الباقلاني في الإنصاف ما يفيد أنه يعتقد باعتقاد جمهور العلماء في هذه المسألة فقال: " ويجب أن يعلم أن إمام المسلمين وأمير المؤمنين ومقدم خلق الله أجمعين من الأنصار والمهاجرين بعد الأنبياء والمرسلين أبو بكر الصديق رضي الله عنه "[41].

فقد ذهب جمهور العلماء على أن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق على الإطلاق، وقد ذكر البعض الإجماع على ذلك[42]، وورد في المستدرك ما يؤيد ذلك

قال الحاكم "حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن بالوية ثنا محمد بن غالب ثنا عفان ومحمد بن كثير قالا ثنا مهدي بن ميمون ثنا محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب عن بشر بن شغاف عن عبد الله بن سلام قال: كنا جلوساً في المسجد يوم الجمعة؛ فقال إن أعظم أيام الدنيا يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه تقوم الساعة، وإن أكرم خليقة الله على الله أبو القاسم صلى الله عليه وسلم قال: قلت يرحمك الله فأين الملائكة قال فنظر إلي وضحك وقال يا بن أخي هل تدري ما الملائكة؟ إنما الملائكة خلق كخلق السماء، والأرض، والرياح، والسحاب ....."[43].

وعن أبي هريرة رضي اله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافعٍ، وأول مشفعٍ"[44]

قال النووي:" وهذا الحديث دليل لتفضيله صلى الله عليه وسلم على الخلق كلهم؛ لأن مذهب أهل السنة أن الآدميين أفضل من الملائكة ، وهو صلى الله عليه وسلم أفضل الآدميين وغيرهم[45]"انتهى.

ويقول صاحب جوهرة التوحيد:

وأفضل، الخلقِ على الإطلاقِ.....نبينا فمل عنِ الشقاقِ

والأنبيَا يَلونَهُ في الفَضلِ... وبعدَهُم ملائِكة ذِي الفَضلِ[46]

ما ذكره ابن كثير في البداية والنهاية حاكياً خلافاً وقع فيها في مجلس عمر بن عبد العزيز وعبارته: " وقد اختلف الناسُ في تفضيل الملائكة على البشر على أقوالٍ: فأكثر ما توجد هذه المسألة في كتب المتكلمين ، والخلاف فيها مع المعتزلة، ومن وافقهم ، وأقدم كلامٍ رأيته في هذه المسألة ما ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص : أنه حضر مجلساً لعمر بن عبد العزيز وعنده جماعة ، فقال عمر : ما أحدٌ أكرمُ على الله من كريم بني آدم ، واستدل بقوله تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) البينة[47]، ووافقه على ذلك أمية بن عمرو بن سعيد؛ فقال عراك بن مالك: ما أحد أكرم على الله من ملائكته هم خدمة داريه ورسله إلى أنبيائه، واستدل بقوله تعالى : (ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين)الأعراف [48] .

فقال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب القرظي: ما تقول أنت يا أبا حمزة؟ فقال: قد أكرم الله آدم فخلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له الملائكة، وجعل من ذريته الأنبياء والرسل، ومن يزوره الملائكة، فوافق عمر بن عبد العزيز في الحكم، واستدل بغير دليله"[49].

وقد مال بعض المعاصرين إلى التوقف في مسألة أن النبي صلى الله عليه وسلم أشرف الخلق، أو أفضل الخلق، ومن هؤلاء محمد صالح بن عثيمين في فتاويه عندما سئل عن قولنا محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق فذكر أنه لا يصح ذلك، ثم قال:" ولا أعلم في ساعتي هذه أنه جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق مطلقاً"[50].

وقريباً منه ذكره محمد ناصر الدين الألباني[51].

حقيقة المعجزة والسحر عند الأشاعرة:

قال أبو محمد ذهب قوم إلى أن السحر قلب للأعيان وإحالة للطبائع، وأنهم يرون أعين الناس ما لا يرى، وأجازوا للصالحين على سبيل كرامة الله عز وجل لهم اختراع الأجسام وقلب الأعيان، وجميع إحالة الطبائع وكل معجز للأنبياء عليهم السلام، ورأيت لمحمد ابن الطيب الباقلاني أن الساحر يمشي على الماء على الحقيقة ، وفي الهواء يقلب الإنسان حماراً على الحقيقة، وأن كل هذا موجود من الصالحين على سبيل الكرامة، وأنه لا فرق بين آيات الأنبياء، وبين ما يظهر من الإنسان الفاضل ومن الساحر أصلاً إلا بالتحدي؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم يتحدى الناس أن يأتوا بمثل ما جاء هو به فلا يقدر أحد على ذلك فقط، وإن كل ما لم يتحدّ به النبي صلى الله عليه وسلم الناس فليست آية له وقطع بأن الله تعالى لا يقدر على إظهار آية على لسان متنبئ كاذب، وذهب أهل الحق إلى أنه لا يقلب أحد عيناً، ولا يحيل طبيعة إلا الله عز وجل لأنبيائه فقط سواء تحدوا بذلك، أم لم يتحدوا، وكل ذلك آيات لهم عليهم الصلاة والسلام تحدوا بذلك أم لا ، والتحدي لا معنى له، وأنه لا يمكن وجود شيء من ذلك لصالح، ولا لساحر، ولا لأحد غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والله تعالى قادر على إظهار الآيات على أيدي الكذابين المدعين للنبوة لكنه تعالى لا يفعل كما لا يفعل ما لا يريد أن يفعله من سائر ما هو قادر عليه[52].

المبحث الثامن: اتهام الأشاعرة بأنهم يقولون إن لله تعالى اسم واحد فقط :

قال أبو محمد: ورأيت لمحمد بن الطيب الباقلاني، ولمحمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني أنه ليس لله تعالى إلا اسم واحد فقط ، قال أبو محمد: وهذا معارضة، وتكذيب لله عز وجل، وللقرآن ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ولجميع العالمين، ثم عطفا فقالا: معنى قول الله عز وجل: (ولله الأسماء الحسنى) وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :" إن لله تسعة وتسعين اسماً"[53].إنما هو التسمية لا الأسماء"[54].

وهذه المسألة قديمة وهي من فضول المسائل والخلاف فيها بين العلماء خلاف لفظي.

قال الباقلاني في الإنصاف :" ويجب أن يعلم : أن الاسم هو المسمى بعينه وذاته ، والتسمية الدالة عليه تسمى اسماً على سبيل المجاز، والدليل عليه قوله تعالى: (تبارك اسم ربك)، ومعناه: تبارك ربك ، وأيضاً قوله تعالى: (سبح اسم ربك)، ولا يشك عاقل أن المسبّح هو الله تعالى ، لا قول من يقول التسبيح ، ويدل عليه قوله تعالى: (ما تعبدون من دونه إلا أسماءٌ سميتموها أنتم وإباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون). وقد علمنا أنهم ما كانوا يعبدون الأقوال والتسميات ، وإنما كانوا يعبدون الأصنام. فأما قوله تعالى: (ولله الأسماء الحسنى)، وقوله صلى الله عليه وسلم : " إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة "تخريج الحديث .

فالعدد في ذلك راجع إلى التسميات التي هي عبارات الاسم؛ فالتسمية تدل على الذات حسب دلالة الكتابة على المكتوب؛ فمن لا يميز بين الاسم والتسمية، وبين الكتابة والمكتوب، وما جرى هذا المجرى فلا يحل الله له أن يفتي في دين الله تعالى، نعوذ بالله من الجهل بالله تعالى وصفاته"[55].

قال العضد الايجي:" مسألة أن: الاسم هو المسمى أو هو غيره أو لا هو هو ولا هو غيره مسألة اجتهادية لا يجوز تكفير المخالف فيها، ولكل منهم أدلته من اللغة والشرع والفهم "[56].

والكل يؤمنون بأسماء الله عز وجل وصفاته، ويقول الباقلاني في مكان آخر:" يجب أن يعلم أن الإيمان بالله هو التصديق بالقلب، وبأنه الله الواحد الفرد الصمد القديم الخالق العليم الذي(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) سورة الشوري "ثم قال:" وأنه لم يزل مسمياً لنفسه بأسمائه، وواصفاً لها بصفاته، قبل إيجاد خلقه، وأنه قديم بأسمائه وصفات ذاته التي منها: الحياة التي بها بأن من الموت، والأموات، والقدرة التي أبدع بها الأجناس والذوات، والعلم الذي أحكم به جميع المصنوعات وأحاط بجميع المعلومات، والإرادة

التي صرف بها أصناف المخلوقات، والسمع والبصر اللذان أدرك بهما جميع المسموعات والمبصرات، والكلام الذي به فارق الخرس والسكوت، وذوي الآفات، والبقاء الذي به سبق المكونات، ويبقى به بعد جميع الفانيات، كما أخبر سبحانه في قوله: (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه).

ثم يقرر ابن حزم أن أسماء الله تعالى تسعة وتسعين اسماً ويضلل من يقول غير ذلك؛ فيقول ابن حزم: " ومن البرهان على هذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال(إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة غير واحد من أحصاها دخل الجنة).

فلو كانت هذه الأسماء التي منعنا منها جائزاً أن تطلق لكانت أسماء الله تعالى أكثر من مائة ونيف، وهذا باطل لأن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة غير واحد مانع من أن يكون له أكثر من ذلك، ولو جاز ذلك لكان قوله عليه السلام كذباً، وهذا كفر ممن أجازه وبالله تعالى التوفيق، وقال تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها) سورة البقرة آية. فأسمائه بلا شك كما هي داخلة فيما علمه آدم عليه السلام، وتخصيص كلامه عليه السلام لا يحل ذلك ، كذلك فمن هو الذي اشتقها من الصفات فإن قالوا هو اشتقها كذبوا على الله تعالى جهاراً إذ أخبروا عنه بما لم يخبر به تعالى عن نفسه وهذا عظيم نعوذ بالله منه، وهذه كلها براهين كافية لمن عقل وبالله تعالى التوفيق والحمد لله رب العالمين[57].

أما مسألة حصر العدد بتسعة وتسعين فقد فصل فيها ابن حجر، وذكر اختلاف العلماء في هذه المسألة، وقال أن بعض العلماء يذهب إلى أن عدد أسماء الله تعالى تسعة وتسعين، وقال جمهور العلماء أنها أكثر من ذلك ونقل عن النووي اتفاق العلماء على ذلك، واستدل الجمهور على ذلك بعدد من الأحاديث لا مجال لذكرها[58].

الخاتمة والنتائج:

بعد هذه القراءة السريعة لما كتبه أبو محمد بن حزم عفا الله عنه عن الأشاعرة، وتكفيره إياهم بغير وجه حق اعتماداً على نقل ليس متثبتاً فيه أو تكفيرهم في مسائل اختلف فيها السلف الصالح، وهي أقرب للمسائل التي جرى الخلاف اللفظي فيها، أو هي من فضول المسائل فلا يؤمر بمعرفتها المسلمون جرياً على موقفه المتشدد من مخالفيه فهو يرمي من خالفه بالجهل تارة، وبالكفر تارة أخرى ونعوذ بالله من الشطط .

وقد استخلص الباحث في نهاية هذا البحث بعض النتائج والتوصيات منها :

1- من خلال استقراء الباحث لأحكام ابن حزم ونقولاته من كتب مخالفيه فإنه لا يعتمد على ما نقل لكثرت تعديه وقلة تثبته فيما ينقل عن مخالفيه؛ فلابد من الرجوع إلى كتب من نقل عنهم ففي كثير من الأحيان يورد ابن حزم قولاً لعالم، وفي كتب ذلك العالم خلاف ما نقل عنه .

2- ابن حزم متحامل على الأشاعرة بشكل كبير، وقد خصص جزءاً كبيراً من نقده للإمام الباقلاني وابن فورك والسمناني؛ فلا يعتد بما ذكره عنهم من مسائل إلا بالرجوع إلى ما كتبوا، وفي حال فقد كتبهم يرجع لكتب أصحاب المذهب، وتلامذة هؤلاء العلماء فهم أعلم وأضبط من ابن حزم فيما نقل عنهم .

3- وقد استنتج الباحث أن كثيراً من المسائل التي تكلم بها الأشاعرة لم يفهمها خصومهم، وهو ما أدى في كثير من الأحيان إلى التشويش عليهم، ورميهم بما هم منه براء

4- الأشاعرة هم فرقة من فرق أهل السنة والجماعة كان منهم الفقهاء، والمحدثين، والمتكلمين، ولم يخرجوا عن منهاج أهل السنة والجماعة بالعموم وإن اختلفوا مع غيرهم من الحنابلة وغيرهم.

5- لابد أن نعلم أن بعض الأشاعرة قد خالفوا جمهور العلماء في بعض المسائل شأنهم شأن كثير من العلماء وقلما يوجد عالم ليس له فتاوى شاذة؛ فلا يمكن أن يرمي الأشاعرة في تلك المسائل بالتبديع والتفسيق بناءً على قول واحد منهم بذلك القول .

6- يوصي الباحث بحصر المسائل التي اختلف فيها الأشاعرة مع غيرهم، وشرح تلك المسائل وتبيين حقيقة مراد الأشاعرة منها .

7- كما يوصي الباحث بالاعتناء بالتراث الأشعري وإخراجه على نحو يليق بجهود علماء الأشاعرة في خدمة العقيدة الإسلامية والذب عنها .

8- وكذلك يوصي الباحث بدراسة الجوانب المشرقة التي خدم فيها الأشاعرة العقيدة الإسلامية؛ فقد كانت لهم إسهامات عظيمة في مجادلة اليهود والنصارى، والروافض والمعتزلة وغيرهم من أهل الزيغ والانحراف .

الهوامش

[1] وهذه ليست منقصة في حق ابن حزم ، بل فضيلة وقد طلب العلم عدد من العلماء وهم كبار منهم صالح بن كيسان وغيره من علماء الاسلام

[2] الفصل ، ج4 ص 168.

[3] انظر الفصل ، ج1 ص 88.

[4] ابن حزم في الفصل ج4 ص 225.

[5] حاشيته علي شرح الجلال المحلي علي جمع الجوامع ج2 ص 121.

[6] درء تعارض العقل و النقل ،ج3 ص24.

[7] معيد النعم ومبيد النقم ص75.

[8] الفصل ج4 ص 211_212.

[9] انظر: علي سبيل المثال ،فيصل بن قزار الجاسم، الأشاعرة في ميزان اهل السنة ، ص675،عبد الرحمن دمشقية ، موقف ابن حزم من المذهب الاشعري كما في كتابه الفصل في الملل والنحل.

[10] الباقلاني ، الإنصاف ص62.

[11] الانصاف، ص82 ، انظر : ص83 ،85.

[12] الفصل ،ج4 ص221.

[13] الاتقان ، ص95.

[14] انظر: الاتقان ، ص97.

[15] انظر: الانتصار ، ج1 ص278_279.

[16] الانتصار: ج1ص59_60، الاتقان ،ص95.

[17] الفصل ،ج1 ص88.

[18] الفصل ، ج1 ص88.

[19] الإنصاف، ص55.

[20] القشيري، شكاية اهل السنة.

[21] طبقات الشافعية، ج4 ص68.

[22] قال في الوافي في الوافيات (ج1ص178) عن السمناني:" قاضي الموصل وشيخ الحنفية ،سكن بغداد وحدت عن المرجي والدار قطني، قال الخطيب:متبت عنه وكان صدوقا حنفيا فاضلا يعتقد مذهب الاشعري وله تصانيف، دكره ابن حزم فقال: السمنان الكفوف قاضى الموصل أكبر اصحاب الباقلاني مقدم الاشعرية في وقتنا، تم أخد في الشناع علية، توفي سنة اربعمائة واربع واربعون

[23] الفصل ، ج4 ص2-3 .

[24] الاستذكار لابن عبد البر 266/3 .

[25] الشفا بالتعريف حقوق المصطفى ج2 ص 144 .

[26] شرح صحيح مسلم للنووي 54/3 .

[27] الاحكام في أصول الأحكام 1/ 226 / الآمدي

[28] البرهان، ج1 ص 181 .

[29] مجموع الفتاوى لابن تيمية ج25 ص 105 – 106 .

[30] المنتقي من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال ص 50 .

[31] فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ص 105 .

[32] المحرر الوجيز ج1 ص 221 .

[33] عمدة القاري شرح صحيح البخاري ج9 ص 18 .

[34] شرح التجريد القوشجي ، ص 359 : شرح المقاصد ، ج 5 ، ص 51 .

[35] الشوكاني ، ارشاد الفحول .

[36] علي القاري ، شرح الشفا ، ج2 ص 259 .

[37] تاريخ الإسلام .

[38] تاريخ بغداد ، ج 1 ،ص 355 .

[39] وهذا الكتاب مفقود فلم يحفظ لنا التاريخ كتاباً للسمنان للأسف ولعل الزمن القادم كفيل باكتشاف مخطوطة ترجع للسمنان يرحمه الله .

[40] الفصل ، ج4 ص 224- 225 .

[41] الانصاف ، ص 61 .

[42] تفسير الرازي ، ج6 ص 195 ، تفسير ابن كثير ، ج3 ص 47 ، الشفا ، ج1 ص 226 .

[43] الحاكم ، بسند صحيح .

[44] مسلم ، رقم : (2278) .

[45] شرح صحيح مسلم ، ج15 ص 37 .

[46] البداية والنهاية .

[47] البينة / 7 .

[48] الأعراف / 20 .

[49] فتاوى ابن عثيمين ، ص 161 .

[50] التوسل أنواعه وأحكامه ، ص 149 .

[51] الفصل ج 5 ص 2 .

[52] البخاري (3736) ومسلم (2677) .

[53] الفصل ، ج5 ص 32 .

[54] الانصاف ، ص 19 .

[55] المواقف ، ج3 ص 304 وانظر : الغزالي ، المقصد الأسني ، ج 1 ص 24 .

[56] الانصاف ، ص22-23 .

[57] الفصل ، ج2 ص 126 -167 .

[58] انظر : فتح الباري ، ج 11 ص 220 – 223 .

المراجـــع

1- الأشـاعرة في ميزان أهل السنة نقد لكتاب (أهل السنة الأشاعرة علماء الأمة وأدلتهم)/ تحقيق فيصل بن قزاز الجاسم/ الميرة الخيرية لعلوم الكتاب والسنة - الكويت 2007م

2- الإتقـان في علـوم القرآن / للإمـام جلال الدين السيوطي/ تحقيق مركز الدراسات القرآنية- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف/ نشر وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشـــاد/ ط1- 1425هـــ.

3- الإنصـاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به/ للإمـام القاضي أبي بكر الباقلاني/ تحقيق وتقديم: محمد زاهد الكوثري/ المكتبة الأزهرية للتراث ودار التوفيق النموذجية/ ط2 2000م.

4- الانتصار للقرآن / للإمام القاضي أبي بكر الباقلاني/ تحقيق : عمر حسن القيام/ مؤسسة الرسالة – بيروت.

5- الاستذكار/ للإمـام الحافظ أبي عمرو يوسف بن عبد البر/ تحقيق: د. عبدالمعطي أمين القلعجي/ دار قتيبة دمشق – بيروت /ودار الوعي – حلب – القاهرة/ ط1 1998م.

6- الأحكـام في أصـول الأحكـــام / لابن حزم الظاهري/ تحقيق محمد محمد ثائر/ دار الكتب العلميةDKI/ 2010م.

7- البرهـــان في علـــوم القرآن/ للإمام بدر الدين الزركشي/ تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم/ دار المعرفة – بيروت.

8- البـداية والنهـاية / للحافظ أبي الفداء ابن كثير/ الناشر عدة دور نشر.

9- إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق في علم الأصول / محمد علي الشوكاني ، تحقيق أبو حفص سامي ط(1) هـ 1421 2000 م .دار الفضيلة

10- المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج/ للإمام محي النووي/ تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي/ دار ابن حزم بيروت.

11- الوافي بالوفيـات/ صلاح الدين خليل الصفدي/ تحقيق: أحمد الأناؤوط- تركي مصطفى/ دار الأحياء والتراث بيروت.

12- تاريخ الإسلام والوفيـات للمشاهير والأعـلام/ للإمـام أبي عبدالله شمس الدين الذهبي/ تحقيق: مصطفى عبد القـادر عطا/ دار الكتب العلمية.

13- تاريخ بغداد أو مدينة السلام/ للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن علي الخطيب البغدادي/ تحقيق: محمد سعيد العرفي/ دار النوادر للنشر والتوزيع.

14- تفسير القرآن العظيم/ للإمـام الحافظ ابن كثير/ دار ابن حزم – بيروت.

15- تفسير الرازي(التفسير الكبير) / تحقيق: مكتبة التوثيق والدراسات في دار الفكر سوريا .ط1 1981م.
16- تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد / عبد الهادي البكري العجيلي / تحقيق حسن بن علي بن حسين العواجي ط (1) 1419 هـ 1999م . مكتبة أضواء السلف .المملكة العربية السعودية.
17- درء تعـارض النقل والعقل/ للإمـتام ابن تيمية/ ضبط وتحقيق: عبداللطيف عبدالرحمن/ دار الكتـب العلمية – بيروت.
18- شرح تجريد العقـائد/ علاء الدين محمد القوسجي/ طبعة محققة بالحواشي بتحقيق محمد حسن الزراعي الرضائي.
19- شرح الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم/ للقاضي عياض/ تحقيق: عبدالله محمد الخليلي/ دار الكتب العلمية- بيروت/ ط2 -2018م.
20- شرح المقـاصد/ للعـالم سعود بن عمر التفتازاني/ تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة/ تصدير : فضيلة الشيخ صـالح موسى شرف/ الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث- القـاهرة،
21- شكاية أهل السنة بحكـاية ما نالهم من محنة/ للإمام أبي القاسم عبدالكريم القشيري/ تحقيق: محمد خالد ذو الغني- محمد يوسف ادريس/ دار نون .
22- صحيح مسلم/ لمسلم ابن الحجاج / المكتبة الوقفية.
23- طبقات الشافعية الكبرى/ تـاج الدين السبكي/ تحقيق: محمود محمد الطناجي- عبدالفتاح الحلو- دار النشر عيسى البابي الحلبي / ط1 -1383هـ- 1964م.
24- عمدة القاري شرح صحيح البخاري / بدر الدين محمود بن أحمد ، ط (1) 1421 هـ 2001 م / طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
25- فتح الباري شرح صحيح البخاري/ للإمام ابن حجر العسقلاني/ تحقيق: عبدالعزيز بن باز- محمد فؤاد عبدالبـاقي/ دار الحديث- القاهرة 2001م.
26- مجموع الفتاوى : تقي الدين أحمد بن تيمية الحرابي / اعتنى بها وخرج أحاديثها عامر الجزار ، أنور الباز ط (3) 1426 – 2005 م / مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة . المملكة العربية السعودية .
27- محرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / عبدالحق بن عطية الأندلسي ط (2) 1428 هـ 2008 م. تحقيق : عبدالله بن ابراهيم الانصاري / طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، إدارة الشؤون الإسلامية ، دولة قطر.
28- معيد النعم ومبيد النقم / تاج الدين عبدالوهاب السبكي / ط (1) 1407 هـ- 1986 م . مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان.
29- منتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال وهو ملخص منهاج السنة ./ تقي الدين أحمد ابن تيمية / اختصره الشيخ محمد بن عثمان الذهبي، تحقيق محب الدين الخطيب/ ط (1) 1413 هـ / الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد/ المملكة العربية السعودية .